

الفيلم الروائي القصير بين المضمون الفكري وفلسفة الإبداع في الجزائر: "أعاهدك" نموذجاً

جامعة الجزائر 3

عتيقة عزالدين إشراف: محمود إبراق

ملخص:

quelques minutes... Tout sa en se basant sur l'analyse du court-métrage algérien "je te promets" réalisé par Mohammed YARGUI comme modèle de recherche appliqué.

Mots Clés : court-métrage, contenu intellectuel, créativité.

مقدمة

القارئ لتاريخ السينما العالمية والعربية في مصادرها المختلفة لا بد له أن يلحظ أن السينما نشأت أجنبية الفكر والمشرّب والتنفيذ، ولكنها لم تكن في يوم من الأيام محايدة أو أداة للتسلية أو للريح فقط، وإنما هي تبث رسائل فكرية محدّدة تستلّب عقول مشاهديها بالإثارة والتشويق. مع العلم أنه عام 1903 قدم لنا إدوين بورتر أول عمل روائي في تاريخ السينما "سرقة القطار الكبرى" وهو فيلم قصير مدته 11 دقيقة...

إن الحديث عن الفيلم القصير وعلاقته بالمضمون الفكري وفلسفة الإبداع في الجزائر يقودنا للحديث عن ثلاث متغيّرات تحكم صناعته، الأوّل يتعلق بأهمية الحرية في مجال الإبداع بوصفها شرطاً أساسياً من شروط الفن وبما يتيحها للفلم القصير من مجال أوسع وفسحة أكبر لممارسة التعبير الفني الحر بمنأى عن إكراهات ثالث الإنتاج والتوزيع والاستغلال الذي يحكم شروط إنتاج الفيلم الطويل. أما المتغيّر الثاني فيتعلّق بتحديد جنس الفلم القصير من خلال مماثلته لجنس القصة القصيرة في علاقتها بالرواية في مجال

باعتبار أن السينما من أهم وسائل الاتصال الجماهيرية الأكثر تأثيراً في الشعوب، تأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على نوع من الأفلام السينمائية التي قلّت حوله المراجع خاصة بالجزائر وهو الفيلم الروائي القصير، في الوقت الذي أصبح يشكّل أحد أبرز أشكال التعبير الفني عن الأفكار والثقافات والقيم السامية بأسلوب إبداعي مشوّق، يشد انتباه المشاهد منذ الوهلة الأولى ويترك لديه تأثيراً قوياً خلال بضعة دقائق... وهذا اعتماداً على تحليل الفيلم القصير الجزائري "أعاهدك" للمخرج محمد يرقى كنموذج تطبيقي للبحث.

الكلمات مفتاحية: فيلم قصير، مضمون فكري،

إبداع.

Résumé:

Sachant que le cinéma est l'un des plus importants médias de masse qui a un très grand effet sur les peuples, cette étude vient pour éclairer un genre de films cinématographique sur le quel ont trouve pas assez de références en Algérie, qui est le court-métrage de fiction, et qui est

devenu l'une des plus importantes sotes d'expression d'idées et de cultures et des valeurs élevées en utilisant un style créatif qui attire le téléspectateurs dès le premier instant et en laissant une forte impression en

العلمية بالمشاهدة، والمقابلة مع مخرج الفيلم كأداة للبحث، إضافة إلى استخلاص المؤشرات من الإطار النظري.

I. مدخل نظري

أولا/ ماهية الفيلم القصير وخصائصه:

تعددت تعريفات الفيلم القصير وكثر الكلام حول هويته الفنية والتقنية، فهناك من يعتبره مجرد تمرين على التقنيات والأساليب السينمائية على حدّ سواء، وهناك من يراه مرحلة عبور إلى الفيلم الطويل، وهذا ما يذهب إليه الباحث **تيري ميرونجي** *Thierry Méranger* في رؤيته لهذا الجنس الفيلمي "إن ولوج عالم السينما هو أن تبدأ بإخراج أول فيلم قصير، فهو يشمل جميع أنواع المواضيع والمبادرات في مدة تتراوح بين 3 إلى 59 دقيقة". ويضيف: "معظم المخرجين مثل **سكورسيزي** و **جودار** كانوا صانعي أفلام قصيرة في بداياتهم، ومما لا شك فيه أنه في الأشكال القصيرة التي تتطلب تركيزا شديدا التأثير يتم تطوير أكبر تنوع من التجارب المبتكرة".⁽¹⁾

بينما هناك من يشتغل عليه باعتباره فيلما قائما الذات، له فلسفته وسماته الفنية بغض النظر عن مدته الزمنية. حيث "تنص لائحة الأفلام السينمائية التي صدرت عام 1938 في إنجلترا على تعريف الفيلم القصير بأنه الفيلم الذي يقل طوله عن ثلاثة آلاف قدم أي 33 دقيقة ويتضمن الجريدة السينمائية والرسوم المتحركة والأفلام الهزلية والموضوعات القصيرة، وفي الولايات المتحدة يطلق مصطلح الموضوعات القصيرة على الأفلام القصيرة الذي تبلغ مدتها حوالي 30 دقيقة، وهو بذلك يشبه الأفلام الموجزة أو الأفلام التسجيلية التي يصنعها الطلاب في أطروحاتهم ومشاريع التخرج. بينما عرّفه نايت بالفيلم الشخصي أو المنفرد، أو نظام مروي خاص في استراتيجية زمنية وبنية حكاية بسيطة تكون فيه الحبكة غير معقدة، تعطي لنا لمحة لشخص معين في لحظة معينة ومحورية في حياته تقع عندما يقوم حدث أو

الأدب، وذلك باستحضار خاصيات الاختزال والإضمار والتعبير عن موقف في كل منهما، مع التنبيه إلى الفارق الجوهرى بينهما والمتمثل في كون القصر في القصة القصيرة فضائي يحسب بالصفحات، والقصر في الفيلم القصير زمني يحسب بالدقائق والثواني. أما المتغير الثالث وهو الأهم هو علاقته بالمحتوى الفكري، حيث أصبحت تقام مهرجانات وطنية ودولية للأفلام القصيرة تعتبر كملتقى بين البلدان لعرض القيم والتصورات التي تعكس ثقافة المجتمعات وتتيح فرصة التعرف إلى الآخر من خلال الأفكار والإيديولوجيات التي يعالج بها المخرجون أفلامهم...

على ضوء ما سبق نطرح الإشكال التالي:

✓ كيف يعالج الفيلم الروائي القصير المحتوى الفكري بأسلوب إبداعي في الجزائر؟

تدرج تحته جملة من التساؤلات الفرعية:

- كيف نعرف الفيلم القصير وفيم تتجلى أبرز خصائصه؟
- ما علاقة الفيلم الروائي القصير بسؤال الفكر والإبداع؟
- كيف جسّد نموذج البحث "أعاهدك" رهايا الفكر والإبداع من خلال العناصر الفنية للفيلم؟

سنحاول الإجابة على التساؤلات المطروحة بتعمّق من خلال دراسة وصفية تحليلية للفيلم الجزائري "أعاهدك" من إخراج **محمد يرقى** الذي تطرّق فيه إلى حق المرأة في التعليم في المجتمع الجزائري الذي مازالت فيه بعض العائلات تضخّي بالبنات بعدم تدرّسهن مقابل تكريس مصاريف الدراسة للأولاد، وضرورة الوفاء بالوعود التي نقطعها للآخرين.... وسنعمد في تحليلنا على الملاحظة

اختيار بسيط بإطلاق سلسلة من الأحداث في زمن لا يتعدى 30 دقيقة".⁽²⁾

وتأسيساً لما ورد من تعاريف للفيلم القصير التي ركزت على خصوصية زمن العرض والموضوعات، يمكن استخلاص تعريف إجرائي علماً أننا نركز في دراستنا هذه على الفيلم (الروائي) القصير بأنه نوع من الأفلام السينمائية يتميز بقصر وقته الذي يتراوح حسب التصنيفات من 3د إلى 30 دقيقة، وما قل عن هذا يعتبر فيلم قصير جداً الذي غالباً ما يرتبط بالمضامين التوعوية أو الإشهارية، وما زاد عن هذا يصبح من الأفلام المتوسطة أو الطويلة ولا تكون دائماً مقبولة في المهرجانات المخصصة للفيلم القصير. يعرض موضوعات قصيرة لشخص معين في لحظة معينة ضمن بنية حكاية تشبه القصة القصيرة بالنسبة إلى الرواية في مجال الأدب.

فيما يتعلّق بالخصائص التي تحكم صناعة الفيلم القصير، لابد من الرجوع إلى المهارات الأساسية التي يتفق عليها كثير من الدارسين والباحثين في هذا المجال ومن بينهم بول كوبرمان Paul Kooperman الذي يعتبر من أهم من كتب عن الفيلم القصير بشكل تطبيقي، وهنا يمكن إجمال ما هو متفق عليه من خطوات أساسية لإخراج الفيلم القصير (بقليل من التصرف) :

1- السيناريو (script): أي الانتباه إلى طريقة كتابة القصة السينمائية، الحوار إن وجد، تقديم الشخصيات، الحبكة، الموضوع.

2- فريق العمل أو ما يطلق عليه بخطوة (Support): وتتطلب التركيز على فريق العمل، المنتج، المخرج، الممثلون، الفريق الفني وأدوار كل منهم ومسؤولياتهم.

3- (StoryBoard): تتعلق بكيفية تحويل السيناريو إلى سلسلة من الصور الفيلمية على الورق قابلة لأن تنقل إلى الشاشة.

4- البناء (Structure): وذلك بمراجعة التحضيرات الأخيرة قبل التصوير، التصميم، كشف الموقع (Location)، إعداد الممثلين، الماكياج، توفير أية مستلزمات لوجستية أو فنية معينة مطلوبة في الفيلم.

5- التصوير (Shooting): كل ما يتعلق بالتصوير والإضاءة من متطلبات ومستلزمات.

6- الشكل (Shape) وهو مرحلة مابعد الإنتاج متضمنة: المونتاج، الموسيقى، المؤثرات الصوتية، والمادة المصورة الجاهزة للعرض.

7- العرض (Screen): وهي المرحلة الأخيرة إذ تكون أنت وفيلمك أمام الجمهور وهذه المرحلة بمثابة إعلان عن نفسك أنك جاهز لولوج عالم الفيلم إن كان هو الفيلم الأول.⁽³⁾

كما تشير الباحثة ماري تيريز جورنو في كتابها (معجم المصطلحات السينمائية) حول خصوصية الفيلم القصير "إن هذا النوع يتيح لسينمائي ما أن يثبت إمكاناته بطريقة أقل مجازفة مما يستطيع ذلك مع فلم طويل. ولكنه يبقى مطلوباً كشكل كامل الحقوق مثله مثل القصة القصيرة".⁽⁴⁾

ثانياً/ المضمون الفكري في الفيلم الروائي القصير:

لعل صناعة الفيلم السينمائي بغض النظر عن وسيلة العرض لعبت قبل الإذاعة والتلفزة وغيرها من وسائل الاتصال، دوراً هاماً وكبيراً في التواصل بين الأمم والتعرف على ثقافتها، لذلك اقترن الاهتمام بصناعة السينما ورقيتها بتقدم الأمم، من هنا كانت وما زالت السينما الأميركية هي إحدى الوسائل الأكثر أهمية في تدعيم الدور الريادي الأميركي العالمي، ترويحاً لقوّتها ونمائها، وحتى الإشهار عن صناعاتها وتعميمها لثقافتها. فلا احد يستطيع أن ينكر أن هناك الكثير من العادات والمفاهيم والصراعات الأميركية

انتشرت في العالم أجمعه من خلال الفيلم الأمريكي، ولا احد ينكر عربيا دور مصر الريادي وقيادتها للعالم العربي في خمسينات وحتى نهاية ثمانينات القرن الماضي من خلال تطور وانتشار الفيلم المصري، حتى غدت اللهجة المصرية أكثر اللهجات فهما وقربا لعقل الإنسان العربي.⁽⁵⁾

وكون السينما هي الصناعة التي يمكن أن تقرب بين الشعوب وتروج لثقافتها، فقد كان للفيلم الجزائري على مدار سنوات خلت دور كبير في مجالات عديدة أهمها بعث الفكر المتجدد للهوية والانتماء الواحد رغم تعدد الثقافات، إلى جانب إحياء روح المبادرة من خلال الاستغلال الأمثل للطاقات الفكرية الموجودة التي تراهن على احتراف مجال التصوير لإظهار العديد من الإسقاطات الاجتماعية عبره...علما أن الفيلم الجزائري منذ ولادته بذروة الحرب التحريرية على شكل أفلام وثائقية قصيرة، كان جزءا لا يتجزأ من العمل النضالي بمضمونه الثوري الذي يواجه به الثوار المستعمر الفرنسي بموازاة مع المسلح والسياسي.

"وبما أن الجزائر تعيش حالة متفردة تشكل خصوصيتها في إنتاج الأفلام السينمائية، إذ يتم تمويل معظم الأفلام عن طريق صندوق دعم الإنتاج السينمائي التابع لوزارة الثقافة الجزائرية جاعلا بذلك تمويل كل الأفلام يأخذ طابعا عموميا قسريا، هذا الوضع جعل القائمين على شؤون السينما يولون أهمية كبيرة للأفلام القصيرة، إذ لا شيء يميز بينها وبين الأفلام الطويلة إلا فارق العرض الزمني..."⁽⁶⁾ وتستقطب على وجه الخصوص جيل جديد من المخرجين الشباب على غرار كريم موساوي، مؤنس خمار، عبد النور زحراح، ياسمين شويخ، محمد يرقى، أمين سيدي بومدين، أنيس جعاد، يانيس كوسيم، صابرين دراوي.... الذين قدّموا مؤخرا تجارب إنسانية وفنية فريدة من نوعها سجّلت حضورها داخل وخارج الوطن في المهرجانات السينمائية العربية والعالمية، باعتبار أنها نوع سينمائي "غير تجاري" إن صحّ التعبير. ونخص بالذكر على سبيل المثال لا الحصر عينة تجارب صغيرة في حجمها الزمني كبيرة في

محتواها الفكري التخيلي، مثلما هو الحال في "قراقوز" لعبد النور زحراح، الذي علّق عليه معظم النقاد عقب عرضه بمهرجان وهران "أنه يشكل علامة فارقة في الإنتاجات السينمائية المغاربية والعربية لسنة 2010".⁽⁷⁾ وهذا من خلال قصّة مكثّفة ورمزيّة تصور بصدق فترة معقّدة من تاريخ الجزائر المعاصر (العشرية السوداء)، حيث يرصد فيه رحلة طفل مع والده مرفوقين بدمى التحريك "القراقوز" على متن شاحنة عتيقة نحو موعد لتنشيط حفل للأطفال. وفي الطريق تضيق منهما الدمى تباعا، مرّة بإهدائها عن طيب خاطر ومرّة ثانية في حاجز أمني ومرّة ثالثة يمزّقها حراس النوايا المتعصّبون دينيا.. ليجد الطفل مع والده نفسيهما بلا "قراقوز"، لكن إرادة صنع الفرح متأصلة فيهما، فيقرران تنشيط حفلهما الموعود للأطفال ولو بدونها...كاميرا زحراح استطاعت أن تنقل لنا اللهجة على وجوه الأطفال في المشهد الأخير، وتنفّث قبل ذلك على مشاهد سينمائية مميزة لرحلة جمّلت مسارها الطبيعة الرائعة لأرياف تيبازة، فاستحق بها زحراح جائزتين كبيرتين في يوم واحد، الأولى في دبي (مشاركة دون حضور) والثانية في وهران بحضوره.

ونجد أيضا فيلم "الجن" لمخرجه ياسمين شويخ الذي نالت به الجائزة الأولى في المسابقة الدولية للمخرجات العربيات بمهرجان بغداد السينمائي (2011)، وهو بمثابة نموذج ثقافي لصحراء الجزائر، تطرقت فيه إلى الجماعات التي تسعى للسيطرة على أفرادها (البطلة عنبر) بمعتقدات تروهيية كالجن في حال ما إذا خرجت عن الأوامر والأعراف، حيث انطلقت من قصة خيالية كتبها المخرجة بنفسها في أول زيارة لها لمدينة بشار التي إنبهت بها وإستلهمت من وحي طبيعتها خاصة في ظل وجود قصر "تاغيت" الذي صوّرت به العديد من المشاهد. ومن ناحية واقعية فقد قدّمت من خلاله نظرة بانورامية لعروس الصحراء أين عكست لنا ملامح عميقة من المجتمع الصحراوي بعباداته وتقاليده المحافظة، مع إبراز التّرحم التراثي لهذه المنطقة من لباس ذو الألوان النارية والترايبية (كالأحمر والأصفر والبرتقالي والأسود

والبقي)، والواحاش الشاسعة حتى يشعر المشاهد أنه في عالم بلا حدود، وخاصة الموسيقى التي شكّلت خلفية لمعظم أحداث الفيلم بألة العود و"القمبري" و"القرقابو".... لهذا من يشاهد الفيلم يلاحظ أنه يروّج بطريقة ما للسياحة الصحراوية بالجزائر.

ولا يمكننا مواصلة الحديث عن علاقة الفيلم القصير الروائي الجزائري بالسياق الفكري دون ذكر آخر إنتاج لـ محمد يرقى "أعاهدك" الناطق بالأمازيغية (2016) الذي يدور حول عهد يقطعه أخ لأخته بعد ضياع حلمها في الالتحاق بالمدرسة، كما يبرز الفيلم جوانب مختلفة من الثقافة المحلية لمنطقة القبائل ووضع المرأة بمدينة بجاية.... وستعمّق أكثر حوله في الجانب التطبيقي من بحثنا.

ثالثا/ الفيلم القصير كشكل سينمائي إبداعي:

لعلّ الحديث عن جماليات الشكل والإبداع الإخراجي لا يقل أهمية عن الحديث على الدراما الفلمية والمحمول الفكري (المتعلق بالفكرة) Thematic concept، ومنه يقدّم لنا الدكتور طاهر علوان في إحدى محاضراته قراءة في جماليات الفيلم الروائي القصير بأنها "الخروج من المحمول الفكري إلى سؤال (الكيفية) وهو النقطة الحاسمة أثناء إنتاج الفيلم القصير، أي هو سؤال الشكل الذي ستظهر عليه القصة والسيناريو بكل ما ينطوي عليه من أحداث وأفعال ودراما، في وقت نحرص أشد الحرص على تحذير كاتب السيناريو من مغبة الإنزلاق إلى الترهل والإسراف في الحوار الذي يقترب من اللغو ويتعد كليا عن تقنية (شعر الهايكو)، فإننا في المقابل إذ نريد الوصول إلى السيناريو الذي تتوفر فيه الشروط والمقومات الأساسية للفيلم القصير المتميز فإننا نصل إلى نقطة مفصلية تتمثل في الشكل: البناء البصري - الصوتي - الحركي - جماليات التعبير - أسلوب طرح الأحداث وإظهار الأشخاص والأشياء والأماكن، أي النسيج المرئي الذي يمنح

الصورة دلالات تشكيلية في العمق والتكوين وتوازن الكادر والشكل الإضائي وتوازنات اللون والضوء والظلمة وما إلى ذلك....". ثم يضيف: "هذه الحقائق المرتبطة بالحس الفيزيائي الذي يترجم إلى صور هو التحدي الأصعب والإشكالية التي لا بد من إدراك أبعادها والتوقف عندها بوعي وثقة.

ولعل أحد أكبر تحديات فنان الفيلم القصير هو تحدي الصورة، بالرغم من أنه قاسم مشترك لجميع الأنواع السينمائية الأخرى إلا أنه هنا خيار حاسم لا سبيل للبحث عن بديل له بالكلام الطويل. إنه صورة مترفعة عن المعنى المكرر والسائد وصاعدة في التأثير ومحتشدة بالمعاني والرموز الدالة ولا يلجأ فيها المخرج وقبله كاتب السيناريو إلى اللغة والحوار إلا للضرورات القصوى التي لا سبيل بعدها لإبصال المعنى". (8)

عُرفت الجزائر بدعمها لميول المنتجين والمخرجين الشباب، وكذا الوصاية لهذا النوع السينماتوغرافي في السنوات الأخيرة من خلال المهرجانات السينمائية التي تقام خصيصا للفيلم القصير. مما حفّز السينمائيين وخاصة فئة الشباب منهم إلى إبراز مهاراتهم الإبداعية بعيدا عن التكاليف الإنتاجية الضخمة عبر هذا الوسيط التعبيري الفريد من نوعه سواء من حيث التيمة والطرح، أو في تبني مختلف الاتجاهات والأساليب الجمالية والفنية في الإعداد والتصوير والإخراج والمونتاج.

ويمكن إبراز جوانب الإبداع في الفيلم الروائي القصير من خلال شريط "العابر الأخير" لمؤنس خمّار الذي استطاع أن يجمع فيه شمل الكثير من الممثلين الجزائريين في فيلم لا تتعدّى مدته الخمس دقائق، حيث لم يتجاوز ظهور كل من محمد عجايبي، أرسلان، أحمد بن عيسى، مليكة بلباي، وحتى الراحل العربي زكال ثواني قليلة استثمرها المخرج بلمسة مبدعة ليحوّلها إلى مشاهد سينمائية تحيّل متداخلة استحق عليها التنويه. كما كشف خمّار



● بطاقة تقنية للفيلم:

العنوان: « Je te promets » / سيناريو
وإخراج: محمد يرقى / المنتج: موسى حدّاد.

تمثيل (لأول مرة على شاشة السينما): فريد أوكالة
— وحيدة بونيظ — رابح بلعباس.

إنتاج: الوكالة الجزائرية للإشعاع الثقافي بمساهمة
وزارة الثقافة / مدير التصوير: ميشال بودور / الصوت:
آلان سيرونقال /

مونتاج: كهينة عطية / موسيقى: عبد العزيز
يوسف (بازو) / مدة الفيلم 16د / لغته: الأمازيغية
(اللهجة القبائلية).

عن ذوق فني عالٍ من خلال تعامله مع موسيقى سفيرة
العرب فيروز (ألحان زياد الرحباني) وتحويلها إلى رداء
موسيقي شفاف ومبهر لقصة بسيطة في ظاهرها لكنها
تحمل جبلا من التعقيدات. قصة شاب (محمد بوشارب)
يقرّر الانتحار بعثية الهاوية، لتعود روحه من جديد إلى
تجسيد ما لم يستطع تجسيده في حياته ومن ذلك الوقوف
على خشبة المسرح.. مسرح اشتغل الشاب في كواليسه
المظلمة لسنوات وهامو اليوم يدخل ميتا إلى ضوءه. قصة
سريرية بسيطة لكن أسلوب معالجتها دراميا في زمن قياسي
جعلها مؤثرة، الأمر الذي حوّل صاحبها افتكك جائزة
اللؤلؤة السوداء في مهرجان السينما الدولي بأبوظبي
(2010).

II. الفيلم الجزائري "أعاهدك" نموذج تطبيقي

● بطاقة فنية للمخرج:

محمد يرقى ممثل ومخرج جزائري مولود ببجاية،
خريج مجال الهندسة الزراعية، تابع دراسته في الفنون
الدرامية وتقنيات السينما بدار الثقافة في بجاية في إطار
ورشات تكوينية وإخراج أفلام قصيرة جماعية. بدأ
مشواره بأول فيلم قصير « Au bout du tunnel »
سنة 2006، وبعده "حورية" الذي نال
به الجائزة الأولى بمهرجان وهران للفيلم العربي
(2007)، كما عمل مساعد مخرج مع مواطنه عبد
الكريم بهلول في فيلمه الروائي الطويل "رحلة إلى
الجزائر".

ويمثل "أعاهدك" ثالث إنتاج سينمائي له
(2016) تُوج من خلاله بعدة جوائز محلية ودولية
كان آخرها الجائزة الأولى لمهرجان واسط السينمائي
الدولي للأفلام الروائية القصيرة بمدينة الكوت العراقية
(2017).⁽⁹⁾

أخته بإتمام دراسته والعودة لأخذها)... ثم ينتهي أثناء الحدث الهابط والحل بنتيجة عن ذلك الفعل (عودة الأخ بعد فوات الأوان، بالتالي عدم تطبيق ذلك الوعد).

أما الملصق الإشهاري فهو عبارة عن إحدى اللقطات التي تضمنها الفيلم ويشكل الفضاء الذي كان شاهدا على العهد بين الأخوين، ومن ناحية جمالية يظهر للمشاهد أنه لوحة تشكيلية بأجزائه المقسمة على الكادر حسب قاعدة الأثلاث، فالثلث السفلي خصص للموضوع والثاني (الوسط) نلمح فيه عنوان الفيلم باللغة الفرنسية « je te promets » مع ترجمة باللغة الأمازيغية فوقه باللون الأحمر والبنط العريض وأسفل العنوان إسم المخرج بخط صغير جدا (كي يترك مجال الانتباه للعنوان) ومكتوب في إحدى نقاط الارتكاز من الإطار، أما الجزء الثالث العلوي فنرى السماء مع بعض السحب الطفيفة... والملفت للانتباه في الملصق أن ألوانه تجمع بين ألوان العلم الأمازيغي المعروفة (الأخضر - الأحمر - الأزرق) بنفس الترتيب التصاعدي مع مسحة لونية صفراء (effet) زادت الصورة عمقا وجمالا.

2- الفكرة والسيناريو: في سؤالنا للمخرج ما إذا كانت فكرة الفيلم مأخوذة من قصة حقيقية وذلك وفق الإهداء الذي نراه في ختام الفيلم (إلى سعاد..)، فأجابنا بالنفي أنها "غير مستوحاة من حادثة واقعية وأن ذلك الإهداء (La dédicace) متعلق بموضوع الفيلم (العهد) وليس القصة في حد ذاتها" في إشارة منه أنه يجب الوفاء بالوعود التي نقدّمها لشخص ما مثلما فعل هو وأهدى وفاء عكس بطله في حكاية الفيلم.

أما من ناحية السيناريو فالأسلوب السردى للفيلم يتكون من مشاهد بسيطة غير معقدة للبطل "عليلي" الذي يعود إلى قريته مسترجعا ذكرياته في طريقه مع حضور نسبي للراوي (روح البطلة "باية" التي تطوف في اللقطات الختامية)... إذن رواية القصة تتأرجح بين وجهة نظر عليلي ووجهة نظر الجمهور واقترح الراوي. ومنه فإن شكل الزمن



• الملخص (Synopsis):

يدور الفيلم حول قصة باية التي تعيش رفقة أهلها بإحدى قرى ولاية بجاية، تضطر إلى التوقف عن إكمال دراستها مكرهة، وحكاية العهد الذي يقطعه لها أخوها بالنجاح في دراسته والعودة ليأخذها إلى "بما قورايا" أين يتجسّد حلمها...

لكن مع مرور السنين وتراكم الانشغالات يندثر حلم باية بوفاتها، ويبقى أخوها حبيس ذكريات وعتاب لتأخره في العودة وعدم الوفاء بالعهد.

❖ التمثيلات الفكرية والإبداعية في فيلم "أعاهدك":

نشير أنه قد فصلنا أثناء التحليل بين السياق الفكري والإبداعي على أساس المضمون (القيم الفكرية)، والشكل (جماليات الصورة).

أولا/ المحتوى الفكري

1- العنوان والملصق الإشهاري للفيلم: ارتبط عنوان الفيلم "أعاهدك" بالفعل الدرامي الذي تدور حوله الأحداث ويدفعها تصاعديا انطلاقا من الصراع (الأخ يعد

لكن من جهة أخرى عرض بعض المعتقدات الشائعة في المنطقة كزيارة ضريح "يما قورايا" ومناجاتها بالدعاء:

(Oh yemma gouraya éclaire son chemin..)

4- اللغة والحوار: يعتبر المجتمع الأمازيغي من بين أكثر الشعوب المحافظة على معالم هويتها بالجزائر والمتمسكة بجذورها وتقاليدها، ومنه فإن اختيار اللغة الأمازيغية في الفيلم -حسب المخرج- كان حتميًا نظرًا لطبيعة المجتمع المصور (بجاية) الناطق باللهجة القبائلية إضافة إلى البيئة التقليدية (قرية) وثقافة المكان، وقد صاحب الفيلم ترجمة أسفل الشاشة باللغة الفرنسية.

وبما أن جوهر القصة يدور حول عهد بين طفلين أخوين، فإن الحوارات الوحيدة المستعملة في الفيلم هي تلك التي بين هاتين الشخصيتين الرئيسيتين في زمن الماضي من خلال الذكريات، وحوار واحد قصير يدور بين والدي "باية" أين تسمع بقرار والدها حول نيته في توقيفها عن إتمام تعليمها لعدم قدرته على مصاريفها بالرغم من تفوقها، لتبدأ من هذا الحوار نقطة الصراع الدرامي...

5- الشخصيات:

أ. "عليلي" وهو الشخصية الرئيسية التي تلعب دور الراوي لأننا نرى الأحداث من وجهة نظره أي من خلال ذكرياته المتداخلة بين الطفولة والشباب، وهو رجل في سن الخمسين تقريبًا يتنقل حاملًا حقييته بعد طول سفر، وفي زمن واقعي بأغلب مشاهد الفيلم. يظهر بلامح منهكة ويأثس منذ بداية الفيلم ويشتدّ بؤسا كلما اقترب من بيت العائلة العتيق.

ب. "عليلي" و "باية" شخصيتين رئيسيتين تدور حولهما قصة الفيلم، نراهم في مرحلة الشباب وبعدها الطفولة ذلك لأن أسلوب سرد الفيلم كان من الأحداث نحو الأقدم.

في بداية الفيلم كان واقعي يسير بخط مستقيم قبل أن تتخلله قفزات زمنية إلى الخلف أثناء الذكريات من خلال الفلاش باك (flash back).

3- القيم السوسيوثقافية والدينية: توليفة الفيلم

عبارة عن نسيج من الأفكار والتصورات خاصة فيما تعلق بوضعية المرأة ضمن الثقافة المحلية للمنطقة (ولاية بجاية)، حيث صوّرها المخرج من عدّة زوايا برؤية إيديولوجية واضحة بدءًا من المرأة التي تسوق سيارة الأجرة وركوب الرجل في المقعد الخلفي للسيارة (في المشهد الافتتاحي)، لقطة النسوة وهنّ يحصدن البطاطا من الأرض الفلاحية، المرأة التي ترعى الغنم، الأم التي تربيّ وتدافع عن حق أولادها....وكان المخرج يخبرنا أن المجتمع القبائلي هو مجتمع نسوي تقوم فيه المرأة بكل المهام والمسؤوليات الصعبة ماعدا حقّها في التعليم !

ويظهر جليًا تأثره بالفن التشكيلي من خلال لقطة النسوة اللواتي يجمعن حبات البطاطا من الأرض المستوحات من لوحة « Les Glaneuses » للرسم الهولندي Jean-François Millet سنة 1857م، استنادا إلى تقنية Stop-Motien (أي توقيف الحركة) فراها صورة ثابتة ثم تصبح متحركة عندما يمر عليهن البطل.

كما يطرح الفيلم القصير بعض القيم الدينية التي تشير إلى أن جميع أفراد المنطقة (في نطاق التصوير) مسلمين من خلال الرموز المكثفة سواء المرئية كالزينة المعلقة على المرأة في واجهة سيارة الأجرة مكتوب عليها "محمد رسول الله" والمسبحة، أو اللفظية كترتيل القرآن والأناشيد الدينية وشهادة التوحيد باللغة العربية الفصحى في مراسم الدفن والجنائز.. وبهذا يقدم المخرج نموذجًا آخر لمن يشكك في ديانة المجتمع القبائلي بالجزائر وأصالته بعد الفتنة التي وقعت (خلال شهر رمضان المبارك 2016) بأن غالبيتهم ينتمون للديانة المسيحية.

والتفاصيل عن الموضوع الرئيسي، وكذلك لقطة طويلة في المشهد الختامي على قمة جبل "يما قورايا".

- استعملت لقطات وجهات النظر بكثرة خلال الفيلم كان الهدف منها -حسب المخرج دائما- خلق حميمية بين الممثلين والجمهور حينما يتشاركون في مشاهدة نفس المنظر، مثلا اللقطة التي تطل فيها "باية" الطفلة على قمة الجبل والمدينة من زاوية تصوير خلفية ثم تتقدم الكامرا إلى الأمام لالتقاط المنظر من زاوية رؤية الممثلة.

- لجأ المخرج إلى التنوع في استخدام مختلف اللقطات من العامة والشاملة (الوصفية) إلى القرية والكبيرة من ملامح الشخصية لاختراق أفكارها والكشف عن الجوانب السيكولوجية بها.

2- المونتاج: تسلسل الأفكار وطريقة الحكى في الفيلم يأخذ المشاهد في رحلة عبر الزمن من خلال مونتاج بالتوازي Montage en parallèle بين الحاضر ذو الريتم البطيء واللقطات الطويلة، وذكريات الماضي عبر الفلاش باك Flash back الذي تحتشد فيه اللقطات الرمزية بريتم متوسط السرعة، كما اعتمد المونتاج على القطع السلس تارة والحاد تارة أخرى لضرورة درامية أثناء الانتقال المباشر من مشهد الطفولة في أجواء دافئة وإضاءة خافتة (ضوء شموع والقمر...) إلى مشهد من الحاضر بأجواء باردة وإضاءة نهائية، بالتالي تلائم نوع الإيقاع الهادئ والبطيء غالبا مع موضوع الفيلم ومناخه العام.

3- الديكور والإكسسوار: ساهم الديكور في رسم الجو العام للمكان والقصة وكذا طبيعة الشخصيات، حيث نرى أغلب المشاهد في الفضاء الخارجي أين نجد البيوت الحجرية العتيقة، والأرض الفلاحية، والمنحدر الذي يطل على قمم الجبال الخضراء، والشجرة التي كانت شاهدا على الوعد المقطوع بين الأخوين الصغار... إضافة إلى الزراري التقليدية، الأواني والأدوات المنزلية المصنوعة يدويا من الطين وتعدّ من رموز التراث الأمازيغي المادي.

ج. "يما قورايا" هي في الواقع ضريح يزوره أهل القرية لأخذ المباركات كباقي أولياء الله الصالحين -في نطاق المعتقدات السائدة- لكنها في الحبكة الدرامية للفيلم تمثل شخصية محورية تبني عليها البطلة آمالها وتفشل في بلوغها.

د. الشخصيات الثانوية: كوالدي باية اللذان تلتقط الكامرا حوارهما من زاوية بعيدة دون تفصيل في سماتهما، وبعض الشخصيات العابرة التي نلمحها في طريق البطل وهي أقل من الثانوية أو ما يطلق عليها في السينما ب"الكومبارس" les figurants كإبن وزوج "باية" المتوقّاة، ونساء القرية، ومجموعة من الرجال في الجنازة والمقبرة....

هـ. الحيوانات: نجد حضورها ملفتا خاصة الإوز الأبيض الذي كان دوره مكمّلا لرمزية الحكاية والشخصية "باية".

ثانيا/ الجانب الإبداعي

1- تقنيات التصوير وجماليات اللقطة: علما أن وسائل التصوير تطوّرت مع السينما المعاصرة خاصة في ظل وجود الكامرات الرقمية ذات الجودة والقياسات العالية، فإن جماليات الصورة تظهر في هذا الفيلم القصير من خلال تناعم اللقطات المتصاعدة حسب أسلوب سردها بكل معطياتها مثلا حركات الكامرا التصاعدية، حركة الممثل داخل الإطار الذي يصعد نحو قريته، روح باية التي تطفو تصاعديا نحو الشجرة في ختام الفيلم، ميول الكادر نحو الأعلى في المشهد الذي تصعد فيه السيارة نحو القرية (إتجاه نظر البطل)... مع توظيف اللقطات الطويلة أو ما يعرف ب Le Plan Séquence (تصوير مقطع أو مرحلة طويلة دون قطع مونتاجي) وذلك بغية تسليط الضوء على وحدة الزمن في تلك المشاهد مثل وصول "عليلي" إلى منزل الأسرة أين تقام مراسم الجنازة، كما لعب المخرج فيها أيضا على الاختلاف في عمق المجال وذلك بعزل الخلفية

خصوصيته، ومن جهة أخرى يتابع المشاهد ضجيج تنقلات "عليلي" التي تترجم حالته.

المعلوم أن الموسيقى تلعب دوراً أساسياً في الرفع من مستوى الفيلم أو الخط منه، لكن في هذا النموذج كان الصمت فيه أبلغ من الصوت والموسيقى والحوار.

6- الرؤية الإخراجية: إنقسم الفيلم في معالجته بين

جزئين من حيث الرؤية الفنية والإخراجية، الأولى كانت عبارة عن تصاعد للأحداث من وجهة نظر البطل الذي يسير متّجهاً نحو بيته منذ وصوله إلى القرية في زمن الحاضر، والثانية هي في زمن الماضي أثناء استرجاعه لذكريات الطفولة والشباب مع أخته والوعد الذي قطعه لها، وهذا من خلال لقطات متداخلة من حيث الأزمنة.

أما من حيث حركات الممثل والكامرا، فإن المشاهد (الذي يعرف بعض الخلفيات حول اللغة السينمائية) يستطيع أن ينتبه للدلالات السيميولوجية المرتبطة باللقطات وزوايا التصوير أثناء تركيزها على الأخ "عليلي" بعد إنهاء تعليمه وعودته من السفر بحركات تتابعه للأمام ونحو الأعلى Traveling en avant، بينما العكس بالنسبة لأخته التي لم تتمكن من تحقيق أحلامها فتتابعها الكامرا بحركات للخلف ونحو الأسفل Traveling en arrière، وخير مثال على هذه الملاحظة (المشهد الذي يذهب فيه "عليلي" الشاب إلى أخته يوم زفافها وهي نازلة من الدرج ضمن موكب العرس النسوي ليخبرها أنه تمّ قبوله في كلية الفنون).

ختام الفيلم بلقطة طويلة مضطربة وكادر غير ثابت، مع طغيان مسحة لونية زرقاء على كامل الكادر Dominant Bleu تجمع بين احتفال مجموعة من النساء أمام ضريح "بما قورايا" ثم تنتقل الكامرا دون قطع إلى "عليلي" (الكبير في السن) واقف يطل على منظر البحر والمدينة، وهو المكان المتواضع الذي كانت تحلم بآية بزيارته يوماً، واضطراب اللقطة وميول الكادر إنما هو توظيف

كما يعرض لنا الشريط الزي القبائلي النسوي خاصة أثناء حفل العرس وزى العروس التي تمشي مغطاة الرأس وحافية القدمين بالحثة والخلخال. ناهيك عن كمية الحلي والإكسسوارات الفضية المستخدمة (أساور، قلادات، خلخال، حلي الجبين...)، كل هذا ساهم في إعطاء تكوين الصورة بعداً جمالياً إضافة إلى واقعية المكان.

4- الإضاءة: استفاد فريق العمل من التصوير في

الإضاءة الطبيعية حيث أن غالبية المشاهد خارجية، واستخدام بعض مصادر الإضاءة التي كانت جزءاً من الديكور كالشموع في المشهد الليلي بجو دافئ قبل أن تسمع "باية" حديث والديها عن إلزامية تركها للدراسة، وسرعان ما يتحوّل إلى بارد بانطفاء ضوء الغرفة والانتقال إلى المشهد الموالي من خلال الظلام.

ومن بين العناصر المهمة أيضاً هي توظيف مؤثر ضوئي Clair-obscur على المجوهرات التي تمنحها البطلة لأحبها ليعين بها نفسه أثناء إتمامه لدراسته بدلاً عنها، ويظهر هذا التأثير في توهج الديدن وصرة المجوهرات، قبل أن يذهب وتبقى هي في الظلام.

5- الموسيقى والصوت: نجد في الفيلم 3

توظيفات للموسيقى يطلعنا المخرج على بعض المعلومات حول مصادرها وهي: الموسيقى التي شكّلت خلفية للشخصيات وبعض الأحداث من تأليف عبد العزيز يوسف المعروف ب (بازو) / الأغنية التي نسمعها من مذياع التاكسي للمغني القبائلي يوسف عبدجاوي / أما ثالث توظيف فهي الأغاني الشعبية التي نسمعها ضمن الفيلم من كبار السن والشيوخ والنساء في المنطقة، وهذا طبعا بعد عملية بحث من طرف المخرج كونها تمثل أحد ركائز الموروث الأمازيغي المعنوي.

كما كانت أصوات الطبيعة الخاصة بالمنطقة حاضرة من خلال مؤثرات صوتية للطيور والأشجار والضجيج في الخلفيات... لتحليل إلينا بالجو العام الذي يعطي للمكان

- إدماج فن السينما كمادة أو مقياس في المنهاج الدراسي وذلك لأهميته في التعرف على ثقافات الشعوب بأبسط وسيلة وأكثرها تأثيرا.

- تشجيع الشباب على الابداع من خلال مسابقات إخراج أفلام قصيرة هادفة وذات مواضيع قيمة كالتشجيع على السياحة مثلا....

- التأكيد على ضرورة نشر المخرجين الجزائريين لأفلامهم على شبكة الأنترنت أو عرضها في ورشات للسينما، مما يتيح مشاهدتها من طرف الجمهور وعدم حصرها للمشاركة بها فقط في المهرجانات.

الهوامش:

1- (voir) Thierry MERANGER, Le Court Métrage, Cahiers du Cinéma, SCEREN / SNDP, Italie, janvier 2007.

2- عبد الباسط محمد علي مهدي، إشكالية البناء الدرامي في الأفلام القصيرة، بحث منشور في مجلة الأكاديمي، تصدر عن كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، 2015. عدد الصفحات من 335-354، ص338.

3- Paul KOOPERMAN, Writing Short film Script: a student guide to film-making, 1st ed, Insight Publications, Australia, 2010, P5.

4- ماري تيريز جورنو، معجم المصطلحات السينمائية، تحت إدارة ميشيل ماري، تر فائز بشور، منشورات وزارة الثقافة، 2007، ص25.

5- ياسمين الحاج، دور السينما الاجتماعي وعلاقتها بالثقافة، نشر في صحيفة خريكة أون لاين يوم 20-06-2014 على الرابط <https://www.maghress.com/khouribga/1009448>، تم الاطلاع عليه يوم 06-01-2018.

6- أحمد بغداد، فضاءات السينما الجزائرية: نظرة بانورامية على تاريخ السينما في الجزائر، مطبوعات ليجوند، الجزائر، 2011، ص137.

درامي للتعبير عن حالة الندم واليأس لدى البطل بعد عجزه عن الوفاء بالعهد.

يبدو أن المخرج متأثر بأعمال الراحلين عبد الرحمان بوقرموح و عزّا لدين مدّور في رائعتي "الربوة المنسية" و "جبل باية"، ذلك أنه يشترك معهما في سمة بارزة وهي التقاط الصورة في العريض بحركات بانورامية تبرز جمال منطقة القبائل.

خاتمة

نستنتج مما سبق أنه في ظل الإنتاج الغزير للأفلام القصيرة الروائية في الجزائر، أصبح هذا الجنس الفيلمي يملك مجموعة من الخصائص التي تجعله متميزا ومنفردا عن باقي الأجناس السينمائية الأخرى من حيث المساحة الزمانية والمكانية الحكائية والتكثيف البصري والخطاب السينمائي القريب من التجريد، وتدفق للصور ذات معنى ترتبط فيما بينها لتنتج معنى يدفع المتلقي إلى خلق معنى خاص به حسب تفاعله مع الفيلم، أو أن يستنبط معاني أخرى لهذه الصور المتدفقة... وهذا ما نجده في فيلم "أعاهدك" كنخيل نموذج ورهان على المحتوى الفكري والجانب الإبداعي الفلسفي انطلاقا من العنوان الذي يعكس قصة إنسانية بامتياز، إلى الأسلوب السردى عبر المناظر الطبيعية المستوحاة من الفن التشكيلي والمرافقة للبطل في رحلة العودة، ثم حرص المخرج محمد يرقى على توظيف كل من الإضاءة والصوت والموسيقى والديكور بطريقة مميزة بوصفها العناصر الجمالية المكتملة للأبعاد الفكرية والثقافية في الفيلم.

بعض المقترحات والتوصيات:

- الاهتمام بقاعات العرض المهجورة وتهيئة دور عرض جديدة مخصصة للعروض السينمائية طول السنة وليس فقط في المناسبات.

7- رشدي رضوان، الأفلام القصيرة الجزائرية في مهرجان وهران: رؤية في سينما عبد النور زحراح ومؤنس حمّار وبانيس كوسيم، صحيفة الفجر الإلكترونية، 28-12-2010،

<http://www.al-fadjr.com/ar> تم الاطلاع عليه يوم 07-01-2018.

8- طاهر علوان، جماليات الفيلم الروائي القصير، محاضرة منشورة على صفحته الرسمية في الفايسبوك بتاريخ 08-01-2016، على الرابط التالي

<https://www.facebook.com/DrTaherALWAN/posts/542875709221300>

تم الاطلاع عليه يوم 07-01-2018.

9- yargui mohamed, Africiné, Le Site de la fédération africaine de la critique cinématographique, voir le 10-01-2018 sur ce lien:

<http://www.africine.org/?menu=fiche&no=10566>